**قوة الأدب الإلكتروني**

**نحو مأسسة أدب مقاومة فلسطيني جديد**

**إيمان يونس**

نسلط الضوء في هذه الورقة على قوة الأدب الالكتروني من حيث قدرته على التعبير عن المضمون والتأثير على الرأي العام، وأبعاد ذلك على المستويين السياسي والأدبي. وسوف نتناول قضية الشاعرة الفليسطينية دارين طاطور نموذجًا لموضوعنا معتمدين على بالأساس على ما ورد في بروتوكول الحكم الخاص بهذه القضية[[1]](#footnote-1).

نشرت دارين طاطور قصيدة فيديو بعنوان "**قاوم يا شعبي قاومهم**"[[2]](#footnote-2) على موقع يوتيوب وعلى حسابها الخاص في فيسبوك في أكتوبر 2015. وفي أعقاب نشر القصيدة قامت الحكومة الإسرائيلية بتوجيه دعوى قضائية إلى الشاعرة تتضمن العديد من الاتهامات الصارمة، كالتحريض على الإرهاب والدعوة إلى الانتفاضة والجهاد وإثارة الرأي العام وغير ذلك. وبعد 3 سنوات من المداولات في المحاكم، صدر الحكم عليها بالسجن الفعلي خمسة أشهر، إضافة إلى ستة أشهر أخرى مع وقف التنفيذ.

تستدعي قضية طاطور إلى الذهن ما يعرف ب"أدب المقاومة الفلسطيني" والمصير الذي آل إليه أصحابه. صحيح أنّ هذا الأدب ليس بالجديد على الساحة الأدبية الفلسطينية. فقد نشأ مع نشوء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وكثيرًا ما تعرّض أدباء المقاومة الفلسطينيون إلى عقوبات عديدة من قبل الحكومة الإسرائيلية، وصلت إلى حدّ السجن أحيانا والنفي أحيانا أخرى، كما حصل مع توفيق زياد ومحمود درويش وغيرهم[[3]](#footnote-3). غير أنّ الإجراءات التي كانت تتخذها الحكومة الإسرائيلية ضد هؤلاء الأدباء كانت تأتي غالبًا بعد تاريخ طويل حافل بالمقاومة. ولم يسبق أن زجّ بشخص في السجن بسبب نشر قصيدة واحدة، خاصة إن لم يكن هذا الشخص معروفا في الوسطين الأدبي والجماهيري كما هو الأمر في حالة طاطور.

وبناء على ذلك، فقد أثارت قضية طاطور لدينا العديد من الأسئلة الهامة التي سنحاول الإجابة عنها ومناقشتها في هذه المقالة، مثل:

أين تكمن مواضع القوة في القصيدة؟ ما الذي يجعلها في هذه الدرجة من الخطورة بالنسبة إلى الحكومة الإسرائيلية؟ هل يمكن أن يستغل الأدب الإلكتروني كوسيلة للإرهاب فعلا؟ وهل يمكن القول إننا نشهد بداية مأسسة أدب مقاومة فلسطيني جديد بصيغة إلكترونية؟ وما هي الآفاق التي تفتحها الرقمنة أمام هذا الأدب؟

* **من هي دارين طاطور؟**

قبل الخوض في لب الموضوع علينا التعريف أولا بالشاعرة دارين طاطور والحادثة التي تعرضت لها بسبب قصيدة الفيديو التي نشرتها.

دارين طاطور هي شاعرة فلسطينية ومصورة، ولدت في قرية الرينة قضاء الناصرة في إسرائيل عام 1982. درست موضوع الهندسة والبرمجة والإعلام والاخراج السينمائي. عام 2010 أصدرت ديوان شعر بعنوان "الغزو الأخير".

في أكتوبر عام 2015، نشرت طاطور على مواقع التواصل الاجتماعي قصيدة فيديو بعنوان "قاوم يا شعبي قاومهم"، والتي أودت بها إلى السجن بعد أن تمت محاكمتها مدة ثلاث سنوات متتالية، فاعتقلت في أغسطس 2018. وفي مكوثها في السجن ألّفت كتابا بعنوان ""**قصيدتي الخطرة: مذكرات شاعرة معتقلة في سجون الاحتلال**" تحدثت فيها عن معاناتها في السجون الإسرائيلية.

وجدير بالذكر هنا أن الشاعرة لم تكن معروفة خصوصا في الوسط الأدبي قبل هذه الحادثة. وهذا ما أثار لدينا الفضول لدراسة سر القوة الكامنة في قصيدتها والتي أودت بشاعرة غير معروفة وليست ذات تأثير جماهيري إلى السجن!

* **إشكالية القصيدة بالاعتماد على تقرير الحكم**

لم يكن من الممكن فهم إشكالية القصيدة دون العودة إلى بروتوكول الحكم ومعرفة ما هي احتجاجات الدولة على القصيدة وما الاتهامات التي وجهتها للشاعرة نتيجة لذلك. فبعد الاطلاع على هذا البروتوكول وقراءته بشكل عميق استنتجنا بشكل واضح بأن إشكالية القصيدة - بالنسبة للدولة- ناتجة عن أساسا عن قوتها. هذه القوة تظهر في مستويين: الأول، هو نوع القصيدة، كونها قصيدة فيديو. والثاني، القاعدة الجماهيرية للقصيدة، كونها تقرأ وتشاهد من خلال مواقع التواصل الاجتماعي. وسنوضح فيما يلي الإشكالية المتعلقة في كل مستوى منهما.

**أ. نوع القصيدة**

تقول كلمات القصيدة ما يلي[[4]](#footnote-4):

*قاوم يا شعبي قاومهم*

*في ‏القدس*

*في القدس ضمدت جراحي*

*ونفثت همومي لله*

*وحملت الروح على كفي*

*من أجل فلسطين العرب*

*لن أرضى بالحل السلمي*

*لن أُنزل أبداً علم بلادي*

*حتى أُنزلهم من وطني*

*أركعهم لزماني الآتي*

*قاوم يا شعبي قاومهم*

*قاوم سطو المستوطن*

*واتبع قافلة الشهداء*

لو افترضنا أن القصيدة نشرت كنص كلامي فقط كما هي أعلاه من دون أي مؤثرات أخرى، ربما ما كان أحد ليكترث بأمرها، ولم تكن لتحدث هذه الضجة الإعلامية. فهذا النوع من القصائد مألوف وعادي جدًا بالنسبة للقارئ الفلسطيني أو اليهودي في إسرائيل. وذلك لأن المناخ السياسي في إسرائيل لا يخلو من التوترات والصراعات شبه اليومية بين الفلسطينيين واليهود. مما يجعل الشعارات والعبارات والنصوص المشحونة سياسيا – من قبل الطرفين- جزءًا طبيعيًا من المشهد اللغوي السائد في البلاد. سواء كان ذلك في الصحف والمجلات أو في مواقع التواصل الاجتماعي أو حتى في اللافتات والكتابات على الجدران داخل وخارج المدن والقرى العربية واليهودية. ويكفي أن نستشهد بصحيفة "ا**لصنارة**"[[5]](#footnote-5) التي تخصص زاوية أسبوعية لنشر قصائد شاعر المقاومة سميح القاسم. وكذلك موقع "**الجبهة**"[[6]](#footnote-6) الذي يحتوي على آلاف النصوص لرموز المقاومة الفلسطينية وغيرهما الكثير الكثير.

وفي مقابلة صحفية أجريت مع المحامية غابي لاسكي المدافعة عن دارين، قالت إنها قد عرضت أمام المحكمة عشرات النماذج من القصائد الورقية التي نشرت لكتّاب فلسطينيين من الداخل، تحمل عبارات ومضامين أشدّ عنفا مما جاء في قصيدة دارين، ولم تقم الحكومة الإسرائيلية باعتقالهم[[7]](#footnote-7).

وفي لقاء آخر أجري مع والد الشاعرة أكدّ هو الآخر على أن جميع مقاطع الفيديو الموجودة في القصيدة ليست أصلا من إخراج دارين، بل هي مقاطع كانت موجودة من قبل، وقد تم عرضها عبر قنوات فضائية مختلفة [[8]](#footnote-8)، **إذا فأين المشكلة؟**

في الواقع إن الاستماع إلى نفس النص اللغوي الذي أوردناه أعلاه ولكن مصحوبا بالمشاهد الحية والموسيقى التي وظفتها الشاعرة يجعل الأمر مختلفا كليا!

تبدأ الشاعرة بقراءة القصيدة بصوتها الخافت مصحوبا بموسيقى درامية تبدأ هادئة ثم تتصاعد لتصبح أكثر حدة. وبينما تلقي الشاعرة كلماتها تظهر مشاهد عنف واشتباكات حادة بين الفلسطينيين والجيش الإسرائيلي.

إن الدمج بين النص اللغوي ومشاهد الفيديو الحية التي اختارتها الشاعرة بعناية، إضافة إلى الموسيقى الدرامية وصوت الشاعرة، كل هذا معًا منح القصيدة قوة ثلاثية الابعاد: تتناغم فيها الكلمة مع الصوت مع الصورة، ويغذي كل عنصر من هذه العناصر الآخر. فجاءت القصيدة كالقنبلة التي فجرت غضب الحكومة. وهذا ما يؤكده بروتوكول الحكم الذي جاء فيه ما يلي:

"*تتضمن القصيدة العديد من الجمل التي تحرض على الإرهاب، وفيها إلى جانب ذلك صور ومشاهد عنف، كما أنها مصحوبة بموسيقى درامية وقراءة مستفزة بصوت الشاعرة*"[[9]](#footnote-9).

ونتيجة لذلك فقد سارعت الدولة إلى توجيه العديد من التهم الخطرة إلى الشاعرة، من بينها **الدعوة إلى الانتفاضة والدعوة إلى الجهاد**. وقد بررت الدولة هاتين التهمتين بالاعتماد على كلمات القصيدة التي جاء فيها ما يلي:

"*قاوم يا شعبي...قاومهم... قاوم سطو المستوطن، واتبع قافلة الشهداء*"

ولم تكتف الدولة بذلك، بل وجهت تهمة أخرى للشاعرة أشد خطورة، مثل "**التحريض على الإرهاب**". واللافت للانتباه هنا أن الدولة قد اعتمدت بالأساس على مشاهد الفيديو كأدلة واضحة لتأكيد صحة هذه التهمة، حيث ورد في بروتوكول الحكم ما يلي:

"*في تاريخ 3-10-2015 وفي تاريخ 4-10-2015 نشرت المتهمة على موقع يوتيوب وعلى حسابها الخاص في فيسبوك قصيدة فيديو تستمر لعدة دقائق فيها مشاهد عنف تتضمن مشاهد لملثمين يقومون بإلقاء الحجارة بأيديهم على قوات الأمن وسيارة الجيب التابعة للجيش، ويستعملون وسائل أخرى لجعل الرمية أكثر قوة وأبعد مسافة. كما يمكن مشاهدة أطر سيارات مشتعلة، وحرق علم إسرائيل إلى جانب أعمال شغب أخرى*"[[10]](#footnote-10).

وأضافت الدولة أن "*الشاعرة قد اعترفت أمام لجنة التحقيق أنها قد علمت لمدة أسبوع كامل على اختيار مشاهد الفيديو بدقة لتتوافق مع النص، ولذلك فإن مضمون النص والعنف المشاهد في الفيديو تعتبر جزءًا من الرسالة العنيفة التي أرادت الشاعرة إيصالها*"[[11]](#footnote-11).

وفي نفس السياق وبعد سلسلة من التحقيقات أشار القضاة إلى أنه من الصعب رؤية صيغة القصيدة كدعوة الى ارتكاب أعمال عنف، ولكن تم عرضها إلى جانب صور ومقاطع فيديو لاحتجاجات عنيفة ضد القوات الإسرائيلية وهنا المشكلة[[12]](#footnote-12)!

نستنتج من ذلك أن الصيغة الإلكترونية للقصيدة منحتها مجموعة قوى إضافية للتعبير عن المضمون وإيصال المعنى. فلقطات الفيديو الحية حملت معها رسائل(מסרים) سمعية وبصرية، واكسبت القصيدة معان إضافية لا تتوفر في النص اللغوي وحده.

**ب**. **القاعدة الجماهيرية للقصيدة**

بما أن قصائد الفيديو تنشر غالبا عبر قنوات مواقع الاجتماعي، فقد أدى نشر القصيدة على فيسبوك ويوتيوب إلى زيادة قوة تأثيرها على المتلقي، وبالتالي استفزاز الرأي العام مما زاد من إشكاليتها بالنسبة للدولة والشاعرة أيضا. فقد جاء في البروتوكول:

"*منذ نشر القصيدة إلى يومنا هذا حظيت القصيدة بآلاف المشاهدات والللايكات like))، ناهيك عن التعليقات الداعمة والمشجعة من قبل القراء*"[[13]](#footnote-13).

وقد دافعت الشاعرة عن نفسها في هذا السياق معتبرة أن "حرية التعبير عن الرأي" هي إحدى الأسس التي يبنى عليها النظام الديموقراطي. وأضافت أنها تستنكر اعتبار التعبير الفني مخالفة جنائية! خاصة في دولة تعرف نفسها (آنذاك) بأنها دولة ديموقراطية مثل إسرائيل[[14]](#footnote-14)

فما كان من الدولة إلا أن أوردت العديد من الشواهد على حالات سابقة تؤكد على أن قيمة "حرية التعبير " تعتبر فعلا إحدى ركائز الديموقراطية، بشرط إلا تمس بقيم أخرى مثل "أمن وسلامة المواطن" و"الحفاظ على المصلحة العامة" و"أمن الدولة"[[15]](#footnote-15). وفي حالة طاطور فقد تم الاعتداء على مثل هذه القيم[[16]](#footnote-16).

وأضافت الدولة من جهتها أن قانون محاربة الإرهاب يستوجب اعتقال الشاعرة لعدة أسباب. فالإرهاب بموجب هذا القانون لا يعني فقط المس بسلامة الفرد بل يعني أيضا المس بالسلامة النفسية للمواطنين بسبب إثارة حالة من الفزع والرعب بينهم. ولذلك فإن نشر القصيدة على مواقع التواصل الاجتماعي والتعليقات الداعمة من قبل القراء يعني أنهم يؤمنون بما تدعو إليه الشاعرة، ويكفي أن يقوم شخص واحد فقط بعملية إرهابية استجابة لقولها "واتبع قافلة الشهداء" ليتحقق فعل الإرهاب[[17]](#footnote-17).

زد على ذلك، فقد اعتبرت الدولة أيضا أن نشر مبادئ التنظيم الإرهابي عبر ما أسمته ب"כיכר העיר החדשה" والمقصود هنا الفيسبوك، يمس في أمن الدولة، لا سيما وأن الفترة التي نشرت فيها القصيدة هي فترة حرجة جدا وهذه إشكالية أخرى. فقد نشرت طاطور قصيدتها في الوقت الذي كانت فيه الاشتباكات الإسرائيلية الفلسطينية في أوجها، مستغلة القاعدة الجماهيرية العريضة لمواقع التواصل الاجتماعي من أجل بث رسالتها التحريضية[[18]](#footnote-18). وهذا معناه أن مسألة التوقيت أيضا لها أهميتها في الأدب الإلكتروني. فالأدب الإلكتروني يكتسب قوة إضافية بسبب قدرته على التزامن مع الأحداث الجارية، مما يزيد من فاعليته وتأثيره على القراء، بعكس الأدب الورقي الذي يتعذر عليه أن ينشر في نفس السرعة لمواكبة الحدث.

* **نقاش واستنتاج**

لا شك أن قضية طاطور تفتح المجال لطرح عدة أسئلة حول الأدب الإلكتروني ومناقشته من زوايا مختلفة. فالاتهامات التي وجهاتها الدولة إلى الشاعرة تقود إلى التفكير في قضايا مختلفة، كالتفكير في العلاقة بين الأدب الإلكتروني والإرهاب، وهل يمكن أن يستغل هذا الأدب لغايات غير أدبية، كدعم تنظيمات إرهابية أو الترويج لمبادئها؟ وهل يخرج النص الأدبي في هذه الحالة من دائرة الإبداع إلى دائرة السياسة، فيتم التعامل معه بالأساس كمضمون سياسي وليس كنص إبداعي الأدبي؟

من جهة ثانية، وبمعزل تام عن القضية، فالقصيدة نفسها تقودنا إلى طرح سؤال باتجاه آخر: هل يمكن القول إننا مقبلون على بداية لمأسسة أدب مقاومة فلسطيني جديد بصيغة إلكترونية؟

للإجابة عن الأسئلة حول العلاقة بين الأدب الإلكتروني والإرهاب، لا بد من العودة إلى الدراسات المختلفة التي تناولت موضوع الإرهاب من حيث علاقته بالإعلام وبمواقع التواصل الاجتماعي بشكل عام، كون القصيدة قد نشرت على مواقع التواصل الاجتماعي، وتم التعامل معها من قبل القراء باعتبارها مضمونا سياسيا ذا بعد أيدولوجي معين. وهذا بلا شك موضوع شائك وفضفاض وذو تفرعات أدبية وخارج أدبية كثيرة، ويحتاج إلى دراسة معمقة يصعب تناولها بشكل سريع هنا، كذلك يحتاج الموضوع إلى تحليل نماذج أدبية أخرى لبناء استنتاجات أو الخروج بتعميمات. ولذلك فنحن نؤثر أن نناقش السؤال الثاني المتعلق بأدب المقاومة باعتباره سؤالا محددًا غير متفرع، كما أنه يبقي نقاشنا حول الأدب الإلكتروني محصورا في دائرة النقد الأدبي.

للخوض في موضوع أدب المقاومة ينبغي علينا أولا تعريف مفهوم المقاومة نفسه. فـ "المقاومــة" هي منظومــة متكاملــة مــن وســائل الــدفاع إعــداداً واســتعداداً؛ مواجهـة وقتـالاً بالكلمـة والموقـف والـسلاح. وجاء في الحـديث النبوي الـشريف: "مـن رأى منكم منكراً فليغيره بيـده، فـإن لـم يـستطع فبلـسانه، فـإن لـم يـستطع فبقلبـه". وهــذا يعنـــي أن هنـــاك عدة أشكال للمقاومة، من بينها بلا شك المقاومة الأدبية التي تقوم على الكلمة بالأساس ولكنها تستهدف الفعل! أي الخروج إلى حيز التنفيذ. فالمقاومة تعبئ المجتمع فكرياً ونفسياً، وتجعله يـستعد لمجابهة مـسلحة منظمـة وواعيـة، أعظمهـا خطـرًا مجابهـة المحتـل للوطن؛ إذ تستدعي تعبئة كل الطاقات الوطنية والقومية[[19]](#footnote-19).

وكلنا نعرف أن أدب المقاومة هذا ليس اختراعا فلسطينيا، فناظم حكمت، وبابلو نيرودا ولوركا وإثيل مانين وهارييت بيتشر ستو جميعهم ينتمون إلى مدرسة أدب المقاومة العالمية[[20]](#footnote-20). ومع ذلك يكتسب هذا الأدب أهمية قصوى في الأدب الفلسطيني بشكل خاص لأنه مرتبط بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي الذي لم ينته بعد. فإثر نكبة 48 برز العديد من الشعراء الملتزمين الذين خصصوا قلمهم للكتابة عن القضية الفلسطينية ووصف النكبة، وجعلوا من كتاباتهم سلاحا للمقاومة ومواجهة الاحتلال والمطالبة بالحرية والاستقلال[[21]](#footnote-21).

وبالطبع لم تغفل السلطات الإسرائيلية عن هؤلاء الأدباء فطوردوا وسجنوا ونفوا وهجّروا. ويكفي أن نذكر هنا تصريح جولدا مئير إثر اغتيال غسان كنفاني حيث قالت: "اليوم قضينا على كتيبة كاملة"! وحين كتب محمود درويش قصيدة "عابرون في كلام عابر" حملها شامير، رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك إلى الكنيست صائحا:" الشاعر درويش يريد أن يطردنا من النهر الى البحر"! فرد عليه درويش بجملته المشهورة "فككوا المستوطنات أفكك القصيدة"[[22]](#footnote-22)

ومع ذلك، فإذا راجعنا تاريخ أدباء المقاومة في فلسطين نجد أن معظمهم له تاريخ أدبي عريض حافل بالمقاومة، إلى جانب حراكهم السياسي بحيث قرنوا أشعارهم بالفعل أي بالعمل، كالمشاركة في التظاهرات والاحتجاجات وإلقاء الشعر التحريضي في المحافل العامة. ونذكر من هؤلاء سميح القاسم الذي طرد من وظيفته التربوية كمعلم بسبب نشاطه الشعري الغزير ونشاطه السياسي أيضا. وكذلك الحال بالنسبة لتوفيق زياد الذي اعتقل أكثر من مرة، ومحود درويش الذي قضى حياته لاجئا للأسباب نفسها، وعبد الرحيم محمود الذي استشهد وهو يقاتل[[23]](#footnote-23).

لقد كان دور شعراء المقاومة هو توعية الجماهير العربية في الخارج والعرب الفلسطينيين في الداخل الذين تشبثوا بأرضهم وبقوا عليها، وإبراز الروابط والعلاقات بين الشعوب التي تناصر القضية الفلسطينية وتناصر الحرية الإنسانية. وكان لهم دور كذلك في الدعوة إلى التضامن والوحدة وتصوير حرب 48 النكبة، وما لاقاه الفلسطينيون من مجازر وهدم وتشريد وتصوير كفاح الشعب الفلسطيني لدحر المؤامرات وانتزاع حقه وحريته، والتحريض على تنظيم مظاهرات والدعوة إلى إضرابات وثورات. كما ناضل شعراء المقاومة أيضا ضد مصادرة الأراضي، وضد سياسة التهويد وغنوا شعراً مفعماً بالتمرد، وغنوا لمختلف القوى الديمقراطية التي وقفت إلى جانبهم[[24]](#footnote-24).

وجدير بالذكر أن الناقد شكري غالي في كتابه "**ادب المقاومة**" 1979، قد أخرَجَ شعراء الأرض المحتلة من دائرة أدب المقاومة المسلحة، واعتبرهم **أدباء احتجاج**، خلافا لمعين بسيسو مثلا الذي اعتبره شاعر مقاومة لأنه قرن القول بالفعل ودعا الى الكفاح المسلح وليس اللجوء إلى الكلمة فحسب. ومع ذلك فلم ينكر غالي دور شعراء الداخل في دعم المقاومة. وفي هذا السياق يقول “*إن شعر المعارضة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة يدعم المقاومة بصورة غير مباشرة، ويغذيها برافد من الواقع ويطور أبعادها بشهادة العيان"*[[25]](#footnote-25).

وفي مؤتمر أقيم في المنتدى التنويري الثقافي في فلسطين أكد الناقد الفلسطيني عادل الأسطة على أن أدب المقاومة بدأ يضعف بعد اتفاقات أوسلو، لأن رموز شعر المقاومة بدأوا الكتابة عن السلام واستبعدوا مصطلحات المقاومةمثل "قاوم" و "اقتل" إلخ [[26]](#footnote-26).

بناء على ما تقدم، يمكننا القول بشكل قاطع إن قصيدة طاطور تنتمي إلى "أدب المقامة" ولكن ثمة فرق كبير بين أدب المقاومة التقليدي الذي ذكرناه آنفا وأدب المقاومة الذي قدمته الشاعرة هنا، والذي سنطلق عليه اسم "**أدب المقاومة الإلكتروني**".

وإذا كان أدباء الداخل قد أُخرجوا من دائرة المقامة لأنهم يعتمدون الكلمة أكثر من الفعل، ولأن شعرهم بدأ يخبو ويخفت نتيجة للتطورات السياسية التي طرأت على المنطقة بعد أوسلو، فإن قصيدة طاطور تجعلنا نعيد النظر في الموضوع، لأنها نجحت في أن تعيد إلى هذا الأدب قوته وتأثيره ولكن بأسلوب جديد وبنكهة مختلفة.

فبالعودة إلى القصيدة نجد أن الشاعرة قد دعت إلى المقامة بشكل صريح ومباشر مستخدمة الفعل "قاوم" ومشتقاته، كما ألحقت قولها بالفعل (أي بالعمل). ولكن "الفعل" في هذه القصيدة اتخذ اتجاها آخر. فهو ليس "الفعل" الحقيقي الذي كان يقوم به الشاعر نفسه كما في حالات مثل سميح القاسم وتوفيق زياد وعبدالرحيم محمود وغيرهم، وإنما هو محاكاة له بشكل افتراضي. فقد ألحقت الشاعرة الفعل "قاوم" بلقطات حية تجسد معنى المقاومة وتقترح أشكالا مختلفة لها، فتارة تمثلت المقامة بإلقاء الحجارة على الجنود، وتارة أخرى بإشعال النيران في أطر السيارات وتارة ثالثة بإحراق العلم الإسرائيلي. بكلمات أخرى فإن الفعل "قاوم" انتقل من مجرد كونه حالة لغوية (فعل ماضي) إلى "حدث" يترجم الفعل بالتصرف أو بالسلوك. وهذا بالضبط ما تحدثت عنه كاثرين هيلز في كتابها **The Time of Digital Poetry: From Object to Event (2006)،** حيث تناولت موضوع ترجمة الأفعال في الأدب الإلكتروني إلى أحداث[[27]](#footnote-27).

إذن فأحد الفروق الجوهرية بين أدب المقاومة التقليدي وأدب المقاومة الإلكتروني، هو أن الأول يقوم على الكلمة التي يفترض إلحاقها بالعمل فيما بعد، أما الثاني فيقوم على الكلمة والعمل في نفس الوقت، فلا يكتفي بالدعوة إلى الشيء إنما يدعو وينفذ أيضا. ولذلك يتوهم المتلقي بأن كل ما ورد في القصيدة على المستوى النظري، إنما يتحقق على أرض الواقع. وهذه الخاصية تزيد من قوة القصيدة وتأثيرها على المتلقي وربما على استعداده لتنفيذ مثل هذه الإعمال في الواقع. وهذا بالضبط ما اثار قلق الحكومة الإسرائيلية.

هذا الانتقال من المستوى اللغوي إلى المستوى التنفيذي يصحب معه انتقالا موازيا لمكانة الشاعرة أيضا؛ فتتحول من مجرد شاعرة احتجاج إلى شاعرة مقاومة بالمعنى الذي تحدث عنه النقّاد.

يختلف أدب المقاومة التقليدي عن أدب المقاومة الإلكتروني من جوانب أخرى. فقد بينا أن أدب المقامة الإلكتروني يمكنه أن يكتسب مجموعة قوى إضافية تجعله يتفوق على نظيره التقليدي. فإلى جانب الكلمة استخدمت الشاعرة وسائل تعبيرية أخرى كالموسيقى الدرامية ومشاهد العنف الحية، ونبرة الصوت التحريضية. وهذه الوسائل أشد وقعا على المتلقي لأنها تستفز حواسه وأحاسيسه بشكل مباشر. فمشاهد العنف الحية تفجر لدى المتلقي مشاعر مختلفة كالغضب والتعاطف مع الضحية، أو الرغبة في الانتقام أو الاستجابة لدعوة الشاعر. كما تؤدي الوسائل السمعية البصرية إلى تعزيز المضمون وإثراء النص بإضافة معاني جديدة له. وكل هذه خصائص وسمات هامة جدا في أدب المقاومة لأنه يهدف بالأساس إلى التأثير!

إلى جانب ذلك كله، فإن نشر أدب المقاومة الإلكتروني على قنوات التواصل الاجتماعي مثل يوتيوب وفيسبوك، يمنحه قوة انتشار هائلة تجعله يتخطى حواجز الزمان والمكان التي قيدت أدب المقاومة التقليدي، ويؤدي إلى استفزاز الرأي العام ليس على مستوى الدولة فحسب بل خارجها أيضا. ناهيك عن التفاعل الهائل من قبل القراء من خلال التعليقات، سواء بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين الشاعرة. مما يعني أن شاعر المقاومة الإلكتروني لا يوصل رسالته إلى أكبر عدد من القراء وخلال زمن قصير جدًا فحسب، بل يرى نتائجها ومفعولها عليهم بشكل مباشر أيضا. وهذا يعني أن دور الشاعر لا ينتهي بنشر القصيدة كما هو الحال في أدب المقاومة التلقيدي، بل يستمر هذا الدور إلى ما بعد النشر بكثير ، ويتخذ أشكالا مختلفة أيضا.

يتمتع أدب المقاومة الإلكتروني علاوة على ما ذكرناه، بميزة هامة أخرى وهي القدرة على التجدد والتزامن مع الحدث. فقد رأينا أن الشاعرة اختارت توقيتا حساسا لنشر القصيدة كما رأينا، ولذلك فنحن نفترض أنه يمكن أن تعيد نشر القصيدة أكثر من مرة على مواقع التواصل الاجتماعي كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وفي كل مرة يمكنها إن تضيف إلى القصيدة مشاهد ولقطات ومضامين جديدة بحسب المستجدات والتطورات التي تطرأ على المناخ السياسي. ما يعني ان أدب المقاومة الإلكتروني يمكنه أن يتجدد ويحيا وينشط ويتكيف مع الأحداث، وأن يواكبها ويتزامن معها.

بناء على ما تقدم نستطيع القول إن قصيدة طاطور رغم كونها قصيدة واحدة لشاعرة غير معروفة إلا أنها استطاعت أن تحقق من حيث قوة مفعولها ونتائجها ما حققته ذخيرةٌ من القصائد وتاريخٌ عريض من الحراك السياسي لشعراء المقاومة التقليديين. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قوة الأدب الإلكتروني وتفوقه من جوانب عدة.

والأهم من ذلك أنه يمكننا اعتبار هذه القصيدة حجر أساس لبناء أدب مقاومة فلسطيني إلكتروني جديد. علمًا أن الأدب الإلكتروني عامة لا يزال حتى اليوم غير معروف لا في فلسطين ولا في إسرائيل. ولذلك فمن ناحية أولى فإن أغلب الظن بأن طاطور حين كتبت قصيدتها هذه فهي لم تكن واعية بأنها تؤلف أدبا إلكترونيا، ولكنها بالتأكيد كانت واعية بأنها تكتب أدب مقاومة. ولذلك فنحن نفترض بأننا أمام مرحلة مفصلية في تاريخ تطور أدب المقاومة الفلسطيني، الذي على ما يبدو أنه قد بدأ يشهد انتقالا من الشكل الورقي إلى الشكل الإلكتروني.

وجدير بالذكر هنا أننا لا نرى أي غرابة في أن تكون بداية ظهور الأدب الإلكتروني الفلسطيني عن طريق أدب المقاومة بالذات، لأن الأدب برأينا هو شأن قومي، ولا بد أن يعبر عن هوية مؤلفه، عن آماله وآلامه في ظل واقعه المُعاش[[28]](#footnote-28). وبالتالي فمن الطبيعي أن نشهد ولادة أدب مقاومة الكتروني قبل أن نشهد ولادة أي جنس أدبي إلكتروني فلسطيني آخر.

ولأن كل ولادة تستدعي طرح تساؤلات وتكهنات حول "المولود" الجديد، فثمة أسئلة كثيرة تدور في ذهننا في هذا السياق، مثل: هل سيكون رموز أدب المقاومة الالكتروني الفلسطيني من جيل الشباب القادرين على استثمار التكنولوجيا والتعاطي معها خلافا لأدب المقاومة التقليدي الذي قاده شعراء من أجيال مختلفة؟ ما هي الآفاق والإمكانيات التي ستفتحها الرقمنة أمام هذا الأدب؟ هل سيتم التعامل مع هذا الأدب سياسيا أكثر منه أدبيا؟ هل توجد بذور تنبئ بمأسسة أدب مقامة عربي في ظل الواقع السياسي المتوتر الذي تشهده الدول العربية في المرحلة الراهنة؟

بالتأكيد ليس بوسعنا الإجابة عن هذه الأسئلة الان، ولكنها أسئلة هامة تهيئ لأبحاث مستقبلية في هذا المجال وتفتح المجال على مصراعية أمام النقد المقارن أيضا.

1. يمكن الاطلاع على البروتوكول وتنزيله من خلال موقع <https://www.takdin.co.il/search/> [↑](#footnote-ref-1)
2. <https://www.youtube.com/watch?v=R1qnlN1WUAA> [↑](#footnote-ref-2)
3. غالي (1970)، حسني (1990) زيدان (2012) [↑](#footnote-ref-3)
4. لقد أوردنا مقطعا من القصيدة كنموذج وليس القصيدة كلها. [↑](#footnote-ref-4)
5. <http://www.sonara.net> [↑](#footnote-ref-5)
6. <https://www.facebook.com/AlJabha/> [↑](#footnote-ref-6)
7. <https://www.youtube.com/watch?v=LIW8vqpWc6s> [↑](#footnote-ref-7)
8. ipid [↑](#footnote-ref-8)
9. البند 3. ص174. [↑](#footnote-ref-9)
10. بند א עמ 180 [↑](#footnote-ref-10)
11. نفس المصدر السابق [↑](#footnote-ref-11)
12. تبرئة جزئية للشاعرة دارين طاطور من تهمة التحريض على العنف: <http://ar.timesofisrael.com/> [↑](#footnote-ref-12)
13. 4 ص 174 [↑](#footnote-ref-13)
14. 8 ص 175- 176 [↑](#footnote-ref-14)
15. أنظر סעיף 11 א , סעיף 11 ב עמ 176-177 [↑](#footnote-ref-15)
16. ג+ ד עמ 178 - 177 [↑](#footnote-ref-16)
17. סעיף א לחוק המאבק בטירור לתשע"ו 2016 , עמ 178 [↑](#footnote-ref-17)
18. ג עמ 181 [↑](#footnote-ref-18)
19. حسن جمعة (2009). ملامح في الأدب المقاوم، فلسطين انموذجا، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. ص 34. [↑](#footnote-ref-19)
20. إبراهيم عباس (2010). أدب المقاومة الفلسطينية: الجذور والسمات. موقع المدينة <https://www.al-madina.com/article/413405> [↑](#footnote-ref-20)
21. غسان كنفاني (1996). أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966. قبرص: منشورات الرمال. ص7. [↑](#footnote-ref-21)
22. انظر: أبو زيد حموضة (2007). أدب المقاومة في فلسطين، المنتدى الثقافي التنويري الفلسطيني. [↑](#footnote-ref-22)
23. رقية زيدان (2009). أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني، كفرقرع: دار الهدى، ص 58-60 [↑](#footnote-ref-23)
24. ن.م [↑](#footnote-ref-24)
25. غالي شكري. **أدب المقاومة**، ص 398 . [↑](#footnote-ref-25)
26. أبو زيد حموضة (2007). أدب المقاومة في فلسطين، المنتدى الثقافي التنويري الفلسطيني. <http://www.tanwer.org/tanwer/news/49.html> [↑](#footnote-ref-26)
27. [↑](#footnote-ref-27)
28. Younis Eman. (2016). Transcontinental Text, "Chat" Novel as a Sample, Globalizing Electronic Literature, Hyperrhiz: New Media Cultures: <https://doi.org/10.20415/hyp/016.e05> [↑](#footnote-ref-28)